العولمة و الهوية الثقافية للشباب الجزائري
مفاهيم و تجليات

د.منصوري سميرة
جامعة سكيكدة

مقدمة:

تعد الهوية الثقافية من المفاهيم التي حظيت بدراسة واهتمام جل الباحثين: السوسيولوجيين، الأنثروبولوجيين، المؤرخين، الفلاسفة،...كلا وفق ميدان تخصصه.و من أكثر المواضيع جدلا و إثارة للنقاش، نظرا لما تحمله من أبعاد و دلالات فكرية ومضامين ايديولوجية تحكمها جملة من المقومات و المرتكزات (اللغة، الدين، التراث الحضاري والتاريخي،...)، فهي تجسد التعدد والتنوع الثقافي، الذي أصبح محورا للصراع بين الدول والمجتمعات في ظل العولمة.

هذه الظاهرة(العولمة) التي فيها تداخل واضح لأمور السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، الثقافة، السلوك والانتماء دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد، كما تعني التجانس الفكري، السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي الذي ينبغي أن تعيشه مجتمعات العالم، أي الإيديولوجية الموحدة في طريقة الحياة ونمط الثقافة وفق النموذج الغربي. و التي تبرز من خلال تجلياتها (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الاتصالية و الثقافية) و انعكاساتها على الأفراد والمجتمعات لاسيما فئة الشباب من خلال التماهي في الآخر' الغربي' على مستويات كثيرة من التفكير والسلوك والثقافة ونمط الحياة بصفة عامة.

من هذا المنطلق نؤسس للتقصي بشأن موضوع العولمة والهوية الثقافية للشباب الجزائري من خلال زاويتين: نحاول من خلال الزاوية الأولى تقديم مخطط نظري غني و مدعم بحشد من المعطيات حول المصطلحات الأساسية للعمل، و نشرح من خلال الثانية تجليات العولمة وانعكاساتها على الشباب الجزائري.

1. مدخل مفاهيمي:

1.1. حول مفهوم الثقافة: يعد مفهوم الثقافة من المفاهيم السوسيولوجية الأكثر تعقيدا مما أحدث اختلافا واضحا بين علماء الاجتماع سواء في تحديد موضوع الثقافة أو طبيعتها ومكوناتها أو ما يتعلق بتعريف المصطلح في حد ذاته.

و نحاول تقديم جملة من التعريفات تبعا للترتيب الزمني:(1)

- تعريف تايلورTylor 1871 :ربما كان أشهر تعريف للثقافة، هو التعريف الذي وضعه عالم الأنثربولوجيا " تايلور": "الثقافة... ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع".

- تعريف بوجاردس Bogardus 1930:

"الثقافة هي المجموع الكلي لأساليب الفعل والتفكير الماضية والحاضرة لجماعة اجتماعية وهي تمثل مجموعة التقاليد والمعتقدات والأعراف المتوارثة".

- تعريف مالينفسكي Malinowski 1944:

"الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الأدوات والسلع والخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات و الأعراف".

- تعريف بارسونز Parsons 1949:

"إن الثقافة تتكون من تلك النماذج المتصلة بالسلوك بمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجينات البيولوجية".

2.1. حول مفهوم الشباب

اختلف العلماء والباحثون في تحديد تعريف جامع مانع لمفهوم الشباب باختلاف واضعي التعريف و تخصصاتهم، بين من يحدد هذه الفئة تحديدا سوسيولوجيا، ومن يحددها بيولوجيا (فسيولوجيا) ومن يحددها نفسيا، وآخر يحددها ديموغرافيا.

و سنحاول في هذا العرض الموجز التعرض للتحديد الموضوعي لمفهوم الشباب بناء على تقديم مجموعة من التعريفات:

يذهب علماء الاجتماع إلى تحديد مفهوم الشباب تحديدا علميا موضوعيا بإجماله في مجموعة من المعايير بالإضافة إلى معيار السن « فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا أو أدوارا في بنائه وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي، وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي». (2)

وبهذا يحدث علماء الاجتماع تفرقة بين أدوار الشباب، الدور في مرحلة الإعداد والدور في مرحلة الاكتمال و الفعالية، فدور الطالب من النوع الأول، أما دور العامل أو الموظف فهو من النوع الثاني.

فتحديد علماء الاجتماع للشباب كفئة يتم بناءا على «طبيعة ومدى اكتمال الأدوار التي تؤديها الشخصية الشابة». (3) ويستدلون على ذلك بانتشار ظواهر العنف والانحراف في الوسط الشبابي.

في حين جاء التحديد النفسي لدى علماء النفس لفئة الشباب بناءا على مدى اكتمال بنائهم الدافعي.

فإذا استطاع الشاب أن يلاءم(يكيف) بين قدراته البيولوجية وتنشئته الاجتماعية وحاجاته الوجدانية والإدراكية ،فإنه سيصل لامتلاك البناء الدافعي المتكامل الذي يساعده على التفاعل السوي في المحيط الاجتماعي، وهذا ما يسمى عند علماء النفس باكتمال البناء الدافعي.

وإذا كانت محاولات علماء الاجتماع والنفس تتسم بالموضوعية في تحديدها للشباب، فإن لعلماء البيولوجيا أيضا رأي في هذا ،حيث تتحدد لديهم فئة الشباب بمدى اكتمال البناء العضوي والفسيولوجي من ناحية الطول والوزن واكتمال نمو مختلف الأعضاء الداخلية والخارجية حتى تتمكن من تأدية وظائفها ويعتبر اكتمال البناء العضوي نهاية مرحلة الشباب، حيث تشكل مجموعة التغيرات النوعية الحاصلة في البناء البيولوجي للكائن الحي بداية هذه المرحلة ،فحسب علماء البيولوجية " الشباب رحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الإنسان الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي وكذلك نضجه العقلي و النفسي" .(4)

والشباب مرحلة من مراحل العمر تمر بالإنسان وتتميز بالحيوية وهي طاقة تضفي على المجتمع طابعا مميزا وترتبط بالقدرة على التعلم والمرونة وتحمل المسؤولية " فالشباب طاقة قومية بما تحويه من قدرات وأفكار وتعتبر هذه القدرات الايجابية خلاصة المهارات والخبرات التي يكتسبها و يتشبع بها من خلال تجاربه وعلاقاته بالمجتمع ،تعتبر هذه الطاقة الإنسانية مجموع القدرات الجسمية والعقلية والنفسية التي يولد بها والتي تشكل وتأخذ أشكالا متفاوتة بين مرحلة وأخرى من مراحل العمر وتختلف من فرد لآخر في ضوء هذه الخبرات والعلاقات الايجابية وتتكيف نتيجة ظروف تعليمية واقتصادية في المجتمع".(5)

* يحدد هذا التعريف فئة الشباب من خلال موقعها في السلم العمري، فما هي إلا مرحلة من مراحل النمو المختلفة لكن تتميز عن بقية المراحل بمجموعة من الصفات والخصائص كالحيوية والمرونة والطاقة الإنسانية المتمثلة في حوصلة من القدرات الجسمية والعقلية والنفسية الفكرية والمكتسبة.

– تعريف محمد علي محمد: الشباب ظاهرة اجتماعية أساسا تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي ،النفسي والبيولوجي واضحة وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها وفقا لعدد من المعايير و المحكات، وقد تلجأ كما كان الأمر كذلك في المجتمعات التقليدية إلى طقوس معينة يتعين على المرء المرور خلالها لكي يكتسب المكانة الاجتماعية المخصصة للشباب. (6)

– فئة الشباب من خلال هذا التعريف هي فئة عمرية تمثل حلقة من حلقات السلسلة العمرية، تختلف عن المرحلة السابقة (المراهقة) باكتمال النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي في حين ترك هذا التعريف تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة لمعايير كل مجتمع وقدم مثالا عن المجتمعات التقليدية.

تعريف إسماعيل علي سعد: " الشباب فئة عمرية تشغل وضعا متميزا في بناء المجتمع وهم ذوو حيوية وقدرة على العمل والنشاط ،كما أنها تكون ذات بناء نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والتوافق والاندماج والمشاركة بطاقة كبيرة تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته".(7)

*يرى هذا التعريف أن الشباب عبارة عن فئة عمرية، وقد حاولت التصنيفات تحديد المرحلة العمرية للشباب من سن 16 إلى سن 30 سنة ، إلا أن هذه المرحلة العمرية ليست ثابتة حيث يمكن أن تتداخل المراحل فيما بينها نتيجة مجموعة من العوامل ،كما يحدد التعريف بعض خصائص هذه الفئة والمتمثلة في الحيوية والقدرة على العمل و النشاط، كما أن لها تكوين نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والاندماج في المجتمع، كما يمتاز بطاقة كبيرة تمكنه من تحقيق أهداف مجتمعه.

3.1. حول مفهوم العولمة:

شاع استخدام لفظ العولمة Globalisation في السنوات العشر الأخيرة، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ومع هذا فإن الظاهرة التي يشير إليها ليست حديثة بالدرجة التي قد توحي بها حداثة هذا اللفظ، " فالعناصر الأساسية في فكرة العولمة: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ عدة قرون وعلى الأخص منذ الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر". (8)

– العولمة لفظة مشتقة من كلمة Global اللاتينية ومنها جاء مصطلح Globalisation أي الكونية أو العولمة .

– العولمة لغويا تعني جعل الشيء عالميا، أي توسيعه على نطاق عالمي وتسهيل حركته بدون عوائق أو حواجز. (9)

– ولمصطلح العولمة عدة مدلولات مثل الكونية والكوكبة والأمركة والغربة. وهذه المفردات مشتقة في عمومها من الانجليزية والفرنسية، ففي الانجليزية نقول Global و Globalisation كما نقول Worldو universal وبالفرنسية نقول Monde وMondialisation، بمعنى الكون والكونية. (10)

– كما يمكن تلخيص العولمة في كلمتين: كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد وموحد. (11)

– يعرفها محمد عابد الجابري على أنها: " نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت، إن إضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما إلى استيقاظ أطر للانتماء سابقة على الدولة، أعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله". (12)

– كما يعرفها صادق جلال العظم :" العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ". (13)

– تعبر العولمة من الناحية الثقافية عن بداية نشوء ثقافة عالمية، بغض النظر عن مصدر تلك الثقافة، إن كان يفرضها المشاركون في العملية على من لا يشارك، أو الذي ليست لديه القدرة على المشاركة فقد يكون مصدر هذه الثقافة أوربي أو أمريكي أو مزيج من الاثنين...والمسألة لا تكمن في أصل الثقافة الجديدة بقدر ما تكمن في قدرتها على الاختراق و التأثير بفعل مكوناتها الذاتية أو على أقل تقدير تملك القدرة على المحافظة على خصوصياتها من الانقراض بفعل العزلة والتعالي والإفراط في التماهي. (14)

يخلص المتتبع لمنظومة التعريفات إلى وجود أربع مجموعات تعريفية:

أولاها تعتبرها بمثابة حقبة تاريخية، والثانية تحصرها في الجانب الاقتصادي، أما الثالثة فتراها بمثابة ثورة تكنولوجية واجتماعية، و تحددها الرابعة في هيمنة القيم الأمريكية خصوصا.

4.1. حول مفهوم الهوية

حظيت مسألة الهوية والهوية الثقافية بالخصوص باهتمام الكثير من المفكرين والأدباء في مختلف الثقافات، فقد شخصها إليكس ميكشيللي بأنها عبارة عن "مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي" .

وفي هذا الصدد يرى تركي الحمد أنه طالما أن الهوية مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته الذي تتميز فيه بثبات معين بمثل ما أن الشخص الواحد يولد ويشب يشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه، أي شخصيته خلال ذلك ولكن يبقى هو ليس أحدا آخرا.(15)

من هذا المنظور يرى تركي الحمد أن الهوية من الناحية السوسيولوجية ليست إلا متغيرات.

يعرف إريكسون بأن الهوية، هي " المجموع الكلي لخبرات الفرد وتتكون من عنصرين هما: هوية الأنا وهوية الذات وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم الإيديولوجية والسياسية والدين وفلسفة الفرد لحياته، أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية ويذكر كذلك أن للهوية بعدين هما : البعد الإيديولوجي والبعد الاجتماعي". (16)

ويعرفها جيمس إ. مارشيا J. E.Marcia بأنها تنظيم داخلي معين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات و الإدراكات الذاتية بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي السياسي للفرد. (17)

كما يمكن تعريفها على أنها: عملية تميز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية.

ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم: الاسم ،الجنسية ،السن ،الحالة العائلية والمهنة ...

تنص القوانين عادة على إثبات صفة الفرد بمقتضى بطاقة شخصية تساعد هذه البطاقة الفرد في تسهيل معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته،أما مبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو ويهيمن هذا المبدأ

على الأحكام والاستدلالات الموجبة، ومن شأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء وما عداه، وأن لا نضيف للشيء ما ليس له. (18)

فالهوية الثقافية عملية تمييز مجتمع أو جماعة عن غيرها عن طريق سمة من السمات، هي السمة الثقافية التي تشترك فيها هذه الجماعة.

2. تجليات العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية للشباب الجزائري:

إن الحديث عن وضع دول العالم الثالث في ظل الزخم الكوني يبقى مثيرا للقلق و الاستفسار، في محاولة لإيجاد بعض المؤشرات لتموقعها و فهم تجليات العولمة :السياسية، و المتمثلة في سقوط الشمولية و السلطوية و التروع إلى الديمقراطية و التعددية السياسية و احترام حقوق الإنسان، الثقافية و تتمثل في صياغة ثقافة عالمية لها قيمها و معاييرها، الاتصالية و المتمثلة في تكثيف البث التلفزيوني وفق شبكات الأقمار الصناعية من خلال شبكة الانترنت.

و بهذا تشكل العولمة تحديا كبيرا للمجتمعات الإنسانية عامة و للمجتمعات النامية على وجه أخص، خاصة منها الدول العربية و على جميع الأصعدة : الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية.

و المجتمع الجزائري كسائر المجتمعات النامية شهد العديد من التحولات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية عبر مراحل تاريخية مختلفة.

حيث انجر عن التغيرات الحاصلة في البناء الاقتصادي للمجتمع الجزائري و أحداث 5 أكتوبر 1988، وما حدث فيها من تقتيل وتخريب العديد من التغيرات على جميع الأبنية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية ما أوصل الجزائر إلى ما يعرف ب «أزمة المجتمع الجزائري».

ولعل أهم ما يميز هذه الأزمة على المستوى الثقافي هو الاختلال الحادث في سلم القيم والمعايير التي تحكم وجود المجتمع، العاجز عن تحقيق الانتقال من وضعية تقليدية متميزة بسيطرة بنى اجتماعية قائمة على روابط الدم والعرق والانتماء إلى مجموعات تضامنية محدودة في الزمان والمكان تحدد هويتها عوامل مثل الدين واللغة، في عزلة عن التفاعل مع المحيط ومواجهة التحديات والضغوط التي يفرضها وسط ثقافي متنوع ومتجدد في بنائه و تعابيره ودلالاته القيمية و المعيارية، ذلك أن المجتمع العصري يقوم على أساس التنوع والتعدد المستند إلى خاصيات: مهنية، مهارية، و عقائدية مرتبطة بدور الأفراد والمجموعات ودورهم ومكانتهم في البناء الاقتصادي. (19)

عند الحديث عن الأزمة الجزائرية في بعدها الثقافي، لا نغفل إحدى القضايا الهامة التي تنعش الجانب الثقافي للأزمة، وهو ما يتعلق بمسألة الهوية والتي تطرح اليوم و بحدة في صورة نقاش حاد بين تصورين يرى كلا منهما أن تصوره يحدد هوية الجزائري الثقافية:

التصور الأول، الذي يتبناه دعاة الأصالة والحفاظ على الثوابت، والتصور الثاني يدعو إليه أنصار التحديث والتفتح على العالمية.

كما لم تنج اللغة من هذا النقاش، فقد طرحت المسألة اللغوية للنقاش (مكانة كل من العربية، الأمازيغية، الفرنسية) في الحياة العامة، في المدرسة وعالم الشغل والإعلام. (20)

وقد جعل هذا الطرح الثقافي الأشكال الأخرى لكل مجتمع شخصيته الثقافية المتمثلة في مجموع الأساليب التي يمارس بها إنسانيته، و تتمثل في: العادات، المعتقدات، اللغة و التراث، سواء المسجل أو الشفوي، و الإنتاج الفكري الأدبي و الفني،.... يجد فيها الفرد وسائله المفضلة للتعبير عن الذات، و هذه الذاتية الثقافية هي القوة التي تحرك المجتمعات البشرية و

تؤدي إلى تماسكها، و تدفع إلى النضال ضد أية قوة خارجية تحاول السيطرة عليها، و هي التي تؤدي إلى تعبئة موارد المجتمع و الاتجاه بها نحو الأفضل.

لكن مع التطور التكنولوجي البالغ السرعة في وسائل الإعلام و سيطرة مجموعة محدودة من الدول على هذه التكنولوجيا و امتداد هذه السيطرة إلى النتاج الثقافي و الإعلامي أصبحت الجزائر و باقي المجتمعات العربية و مجتمعات العالم الثالث بصورة أوسع تواجه تحديا ثقافيا و إعلاميا متعدد الأبعاد من شأنه خلق قيم اجتماعية و ثقافية غير ملائمة. و من هنا يمكننا التساؤل عن الهوية الثقافية للشباب الجزائري؟

إن العلم و ما يوفره من معارف و إبداع و ابتكار و ما يحققه من انجازات هو مصدر الثقافة و مصدر القوة و بالتالي يكون مصدر السيطرة التي تبقى لصالح من يعلم و يملك لمواجهة الذين لا يعلمون و لا يملكون، و من هنا كان حرص هؤلاء الذين يعلمون و يملكون على احتكار المعلومات و المعرفة و التكنولوجيا التي توصلوا إليها، للاحتفاظ بمصدر السلطة و الثروة.

و بما أن وسائل الاتصال الحديثة و تكنولوجياتها تتمركز في عواصم الدول المتقدمة و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية فهي تستخدمها فيما يحقق سياستها الثقافية و الإعلامية إلى جانب السياسات الأخرى بغرض السيطرة و التحكم باستخدام المنتجات الثقافية و الإعلامية بالكيفية التي تريد و التوجه الذي ترغب، و بما يخدم أهدافها، حيث أصبحت هذه المنتجات و مضامينها عبارة عن انسياب باتجاه واحد، الأمر الذي نتج عنه سيطرة ثقافة واحدة هي ثقافة الأقوى التي تعمل على طمس الثقافات الأخرى و تهميشها بما يقضي على هويتها الثقافية.

إن مدخل العولمة الطبيعي هو مدخل ثقافي، " فالعولمة موقف من الهوية الثقافية قبل أن تكون هيمنة اقتصادية أو تبعية سياسية، هي جزء من آليات الدفاع عن الذات في مواجهة الآخرين إثباتا للأنا ضد سيطرتهم".(21)

لقد أكدت الحقبة السابقة من التاريخ العالمي على الهوية الوطنية لكل أمة، و أبرزت الثقافة الخاصة و الهوية الوطنية للشعوب مع السعي للإبقاء على ثقافة واحدة هي ثقافة المركز المهيمن على العالم: اقتصاديا، حضاريا، علميا و اجتماعيا.

و بالتالي ترسيخ هيمنة هوية ثقافية معينة ليست إلا ثقافة الغرب و التي هي امتداد للرأسمالية في بعدها القيمي الثقافي.

" فالحديث عن أزمة الهوية هو في الحقيقة حديث عن أزمة مفتعلة و ليست حقيقية توجد في الذهن أكثر مما توجد في الواقع. فالأزمة ليست في الهوية و لكن كما يقول تركي الحمد في العقل المأزوم غير القادر على استيعاب المتغيرات و إنتاج عقل جديد و ثقافة جديدة في ظل التغيرات و التحولات التي تشهدها الخريطة الجيو- سياسية و الاقتصادية على الصعيد العالمي بوجه عام و العالم العربي بوجه خاص". (22)

عندما نتحدث عن العالم العربي فإننا نتحدث عن الجزائر باعتبارها واحدة من الدول العربية التي تستقبل العولمة و لا تشارك فيها، لأنها تخشى أن تكون من الضحايا الأوائل للعولمة كما كانت بالأمس الضحية الأولى للاستعمار، و في خوفها هذا، خوف على الهوية و الخصوصية الثقافية.

فسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على 65 ٪ من وسائل الإعلام قد زاد من تخوف حتى الدول المتقدمة إزاء مخاطر الهيمنة الأمريكية على الإعلام و الثقافة تحت ستار العولمة، و إذا كان هذا حال الدول المتقدمة، فكيف إذن بالجزائر و الدول العربية و دول العالم الثالث التي تتميز بخصوصية بالغة الحساسية نظرا لعدة اعتبارات جعلت هذه المنطقة تحتل موقعا استراتيجيا على الخريطة الجيو- سياسية و الاقتصادية، التي يجري الإعداد لها بشكل سريع في ظل صراع المواقع بين

الأقوياء. و يتمثل الموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة بالذات في ارتباطها بعمق تاريخي و حضاري متميز، حيث يركز العرب على التاريخ و الثقافة للتأكيد على وجود أمة تعمل لمد الجسور و إعطاء الأولوية لعمقها الثقافي و الحضاري.

إن عولمة الثقافة هي نتاج آليات عولمة الاقتصاد بشكل أساسي.

فعولمة الاقتصاد حملت في طياتها إيديولوجية التنميط و الاختراق الثقافي التي تركز على صياغة ثقافة عالمية مندمجة لها قيمها وعاداتها و أخلاقياتها و معاييرها لضبط سلوك الأفراد ، الشعوب و الدول، و بما أن هذا التنميط يتعارض مع الخصوصية و الهوية الثقافية للشعوب، فان النمطية المطروحة تؤدي إلى تطويع الأفراد أينما كانوا و سلبهم إرادة الاختيار كون السلع و الخدمات المستوردة تحمل معها ثقافة المجتمع القادمة منه، مما يؤدي مستقبلا إلى تغيير ثقافة الأفراد إراديا أو لا إراديا ما يؤدي إلى تشويش الشخصية الثقافية الوطنية و تعطيل فاعلية العقل.

هذا التأثير يكون بشكل أكبر على الجزائر باعتبار ثقافتها ذات أبعاد مختلفة: عربية، إسلامية، أمازيغية، متوسطية، افريقية، عالمية ،ما أدى بالجزائر إلى التنوع الثقافي في إطار وحدة ثقافية وطنية، و" قد عجلت التغيرات الهيكلية و التنظيمية التي أدخلتها الإدارة الفرنسية من إضعاف القوى التقليدية التي كانت تحكم المجتمع الجزائري، و أمام هذه الوضعية لم تستطع القوى الداعية للتوجه الوطني (العربي- الإسلامي) من فرملة اكتساح الثقافة الغربية الناتجة عن العولمة و التي تكون بالنسبة للجزائر مخرجا لتجاوز بعض الإشكاليات الوطنية من بينها الإشكالية اللغوية، و ذلك باندماجها في شبكات التبادل العالمية و التي تعتمد اللغة الانجليزية لغة للتخاطب و البحث و عليه تتجنب الصراع الداخلي العقيم الذي يتغذى من خلال حقنه بأبعاد الهوية الثقافية التي أصبحت أكثر قابلية للانكسار.(23)

و بما أن الجزائر أكثر بلدان العالم العربي قربا من المصادر الثقافية العالمية، فإنها أكثر تأثرا بالغزو الثقافي الإعلامي و يتوقف مستقبل الهوية الثقافية للجزائر على جملة من العوامل أهمها: (24)

- وجود إرادة سياسية قوية تستمد شرعية قوتها من تفويض شعبي واسع في إطار برنامج وطني يتم الاتفاق عليه، تتبنى هذه الإرادة منهج التغيير الذي ينسجم مع التطورات العالمية المستمرة، واضعة رؤية إستراتيجية تتكامل فيها السياسات وفق مبدأ المنظومة الكلية.

- تبني سياسات علمية و ثقافية تعبئ الطاقات، و سياسات اقتصادية لا تفتح الباب واسعا بقدر ما تهدف إلى التوازن بين الداخل و الخارج، و سياسات ثقافية جزئية تفهم روح العصر و متطلباته الذي يرتبط بما هو حي و قادر على الاستثمار من الماضي دون أن يؤدي ذلك إلى استحضار الماضي كله و العيش به.

- تطوير النظام السياسي و الانتقال من الشمولية و السلطوية إلى الديمقراطية و التعددية و تداول السلطة و احترام حقوق الإنسان.

- بناء ثقافة الجزائر كجزء من الثقافة العربية و إعادة إنتاج منظومة القيم الاجتماعية و تنمية و تعميق الوعي المدني، و تطوير مؤسسات التكوين الثقافي و الاجتماعي(الأسرة، الجامعة، الحزب، المؤسسات الإعلامية).

- إعادة النظر بالطرق التعليمية و تعليم الفكر النقدي و تطويره، و زيادة الإنتاج الثقافي العربي الأصيل بشتى أشكاله مع التركيز على نوعية هذا الإنتاج، بحيث ننتج و نعيد إنتاج مفرداتها المعرفية و مفاهيمها بشكل ذاتي.

- الابتعاد عن الموقف الذي يرفض العولمة دون العمل على مواجهتها فعليا، أو الموقف الذي يقبل العولمة دون تحفظات عليها، و محاولة فهم الضرورة الموضوعية الكامنة في ظاهرة العولمة باعتبارها مرحلة تاريخية، و هذا الفهم للضرورة الموضوعية يجعل الشعوب قادرة على التحكم في العولمة، و تعديل قيمها و قوانينها و حركتها من قوانين اللاتكافئ على

الصعيد العالمي إلى قوانين التكافؤ و المساواة و الاعتماد المتبادل بين المجتمعات، من إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم بأشكال جديدة إلى إعادة إنتاج نظام عالمي أساسه الحوار بين الشعوب و سيادة المنطق و العقل، و قبول الآخر و التعايش معه بعيدا عن العنف و الهيمنة و التسلط.

و تبرز مشكلات الشباب الثقافية من خلال جملة من الأزمات التي يواجهها والمتعلقة بأزمة الهوية، أزمة الثقة وأزمة الانتماء والفاعلية.

ونوضح فيما يلي موجز لما تعنيه هذه المشكلات، و مدى تأثيرها على البناء الثقافي، الاجتماعي، النفسي والعاطفي للشاب: (25)

أ. أزمة الهوية : حيث يعاني كثير من أبناء الأمة من فقدان الهوية الثقافية، وهي أساس ما يعانيه الشباب من أزمات ثقافية، حيث ضعف الانتماء، وعدم الثقة بالذات والقدرات الثقافية، وما يتصل بذلك من حيرة وتجاذبات ثقافية بين الرغبات، والواقع الاجتماعي، والانتماء الثقافي العاطفي، والانجرار السلوكي المقلد للآخرين.

ب. أزمة الثقة: وتتراوح بين حالة الإحباط واليأس من إمكانية النهوض الثقافي وتشكيل الذات، إلى حالة التشكك في مدى القدرة على مواجهة التحدي الثقافي (غزوا كان أو غير ذلك)، وتمتد إلى حالة الشعور بالعجز عن الوصول إلى الآخر والتأثير فيه.

ج.أزمة الانتماء: وهي ناجمة بالضرورة عن الأزمتين السابقتين، ففقدان الهوية، وضعف الثقة في الثقافة يحول بين الشباب والتحيز باتجاه فكرة أو جماعة أو أمة على أساس فكرة أو ثقافة جامعة، ويحول كذلك دون التواصل المطلوب مع مصادر الثقافة، وتحديدا: القرآن والسنة والتراث الإسلامي.

د.أزمة الفاعلية: إذ كيف لمن فقد الثقة بنفسه وأمته وثقافته أن يكون إيجابيا، وفاعلا ثقافيا ؟ فلا هو قادر على التفاعل مع نفسه وبناء ذاته ثقافيا، ولا هو قادر على التعامل مع التحديات الثقافية المعاصرة ومترتباتها.

* هذه المشكلات الثقافية التي يواجهها الشباب هي نتيجة إفرازات جملة من العوامل الداخلية والخارجية:

تتعلق العوامل الداخلية بحالة التخلف العلمي الحضاري الذي لف أمتنا خلال القرون الأخيرة، وتتجسد العوامل الداخلية المباشرة في:

- ✓ ضعف الثقافة الأسرية، وبالتالي ضعف بناء الحصانة والمناعة الثقافية لدى الأبناء.
- ✓ قصور المناهج التعليمية المدرسية والجامعية، وعدم قدرتها على تعزيز الانتماء الثقافي، وبناء ثقافة الجيل.
- ✓ قصور الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه، وسيادة لغة المنع والتحريم على لغة الحوار والإقناع والتأثير.
- ✓ عدم إعطاء الثقافة الشبابية القدر الكافي من اهتمام الحركات الإصلاحية في المجتمع.
- ✓ ضعف البؤر الثقافية في المجتمع من روابط واتحادات وجمعيات، وتأثرها بالواقع السياسي، وعدم الاهتمام بالفجوة بين الحكام والمثقفين، والدوران في حلقة مفرغة، دون المساس بالحلول الجذرية في مواجهة الأزمات والتحديات.
- ✓ عدم التواصل الفعال بين الخطاب الإعلامي والأزمات الثقافية للشباب.

فيما تتعلق العوامل الخارجية بحركات الإستشراق، والتبشير والاستعمار التي أسهمت في إيجاد حالة التجزئة في الأمة الإسلامية الواحدة، وأثرت سلبا على الفكر الإسلامي الوحدوي،

و على الهوية الحضارية للأمة، وتعرضها للغزو الثقافي الغربي المصاحب للحضارة الغربية المتقدمة علميا وتكنولوجيا، مما سارع في حالة التغير الاجتماعي و القيمي في الأمة، وعزز حالة التقليد الحضاري للأنماط الثقافية والاجتماعية الغربية، بصورة غير منضبطة.

ويمكن إجمال أهم عوامل المشكلات الثقافية للشباب الخارجية في:

- الغزو الثقافي الغربي، وما صاحبه من مظاهر الإستشراق، وحملات التبشير، والاستعمار العسكري والسياسي الذي رافقه فرض أنماط ثقافية واجتماعية غريبة على مجتمعاتنا، وتأثيرات سلبية على شبابنا قادتهم للتقليد لما عند الغرب في مجال القيم والأنماط الاجتماعية في المأكل والمشرب والملبس ،...
- تيار العولمة، أو بالأحرى تيار الأمركة الذي تقوده أمريكا وله آثار ثقافية لا تقل عن آثاره الاقتصادية، السياسية والعسكرية السلبية على أمتنا العربية الإسلامية وثرواتها الطبيعية، حتى غدت أمريكا تشير علينا بما يجب أن تكون عليه مناهجنا التعليمية في الدين والتاريخ،...
- الانفجار المعرفي في سائر العلوم، مما جعل المسافة تتسع يوما بعد يوم بين مجتمعاتنا التي لا تزال في بداية الثورة الصناعية، والدول المتقدمة التي قطعت أشواطا بعيدة في السير نحو مجتمع المعلوماتية والمعرفة، فالقرن الحالي يشهد رأس مال معرفي هو رأس مال حقيقي، لتقدم الأمم وتنمية المجتمعات.

خلاصة:

لقد وجهت معظم الدول والمجتمعات اهتمامها لفئة الشباب وقضاياه على اختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،لإيمانها بأهمية هذه الشريحة ودورها في إحداث التنمية المنشودة ،لذلك لاقت دراسة الشباب أهمية متزايدة في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء بناء على الخصائص التي يتمتع بها : جسمية ،عقلية ،اجتماعية أو نفسية، فبالإضافة للثقل العددي الذي تمثله هذه الفئة في أي مجتمع ،فإنها تتميز بالحيوية والنشاط والقدرة على العطاء ، كما أن صغر سنها يجعلها تمثل المستقبل بجميع أبعاده ،لأجل هذا جاء اهتمام الباحثين بهذه الفئة وحاجاتها المختلفة التي يجب على المجتمع أن يعمل على إشباعها بطرق مشروعة حتى لا يلجأ الشاب لإشباعها بطرق و أساليب غير مشروعة تساهم في ظهور مشكلات اجتماعية ،نفسية ،صحية لدى الشاب.

فمشكلات الشباب ظاهرة عالمية تشترك فيها جل المجتمعات البشرية، وتشكل قلقا لدى المسؤولين وموضوع بحث ودراسة للباحثين وإن كان حديثنا في الفقرات السابقة عن بعض مشكلات الشباب الخاصة، فالمشكلات التي تواجه الشاب الجزائري في السنوات الأخيرة والتي تتزايد درجة خطورتها ترتبط في مجملها بالهوية الثقافية (مشكلة البطالة، الهجرة من الريف إلى الحضر ومن الجزائر إلى الدول الأوروبية الأمريكية (الحرقة)،الانحراف عن القيم، إدمان المخدرات، ظاهرة الإرهاب والتطرف الديني...).

الهوامش

1. سامية حسن الساعاتي: الثقافة والشخصية، ط2 ،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983،ص 35-53.
2. علي ليلة: الشباب في مجتمع متغير(تأملات في ظواهر الأحياء والعنف)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 33-35.
3. محمد علاء الدين عبد القادر: دور الشباب في التنمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1998، ص 19.
4. محمد سيد فهمي: تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دس، ص 369.

5. المنجي الزيدي: مقدمات لسوسيولوجيا الشباب، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 30، مارس 2002، ص 29.
6. محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، ، دار النهضة العربية، بيروت، 1985 ،ص 20.
7. إسماعيل علي سعد: الشباب والتنمية في المجتمع السعودي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 37.
8. جلال أمين: العولمة، ط3، دار المعارف، القاهرة، ص 13.
9. عبد اللطيف صوفي: العولمة وتحديات المجتمع الكوني، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2001، ص 11.
10. مبروك غضبان: بين العولمة والسيادة، في : فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، قسم علم الاجتماع، 2001، ص 35.
11. برهان غليون، سمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط2، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 21.
12. محمد عابد الجابري: قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 149.
13. مالك حسن: العولمة بين البعد التقني والبعد الإيديولوجي،مجلة الطريق، العدد5، السنة 58، 1999، ص 48.
14.حسن عبد الله العايد: أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، معان، الأردن، 2004، ص 15.
15. نور الدين بومهرة: العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، في : فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة، مرجع سابق، ص 212.
16. طلال عبد المعطي مصطفى: أبحاث في علم الاجتماع: نظريات ونقد، ط1، دار هادي، دمشق، 2002، ص 79.
17. نفس المرجع، ص 82.
18. خليل أحمد خليل، محمد علي الكبسي: مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، ط1، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، 2001، ص 203.
19. العياشي عنصر: سوسيولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر، في: سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، يناير 1996، ص 184.
20. علي الكتر، عبد الناصر جابي: الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديدة ، في: سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، المرجع السابق، ص 220.
21. عبد اللطيف صوفي: العولمة وتحديات المجتمع الكوني، مرجع سابق، ص 72.
22. نورالدين بومهرة: العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، في فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة، مرجع سابق، ص 213.
23. علي غربي: العولمة وإشكالية الخصوصية الثقافية، مجلة الباحث الاجتماعي، ، العدد2، السنة الثانية، معهد علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، سبتمبر 1999، ص 46.
24. كامل عمران : العولمة ومستقبل هوية الجزائر الثقافية، في فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة، مرجع سابق، ص 293.
25. نور الدين بومهرة: العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، في : فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة، مرجع سابق،ص 208.